المقتطف

الجزء الرابع من المجلد العاشر بعد المئة

١٨ جمادى الاولى سنة ١٣٦٦ — ٣٠ ابريل سنة ١٩٤٧

المدرس الدولي

أو منظمة الامم المتحدة للتربية والعلم والثقافة (١)

في أثناء الحرب العالمية الثانية أسست وزارة المعارف الانجليزية ، بمساعدة المجلس البريطاني ، منظمة أطلق عليها إسم « مؤتمر الامم المتحدة لوزراء التربية » . ولقد نالت هذه المنظمة من النجاح ما فتح أمامها أبواباً من العمل والجهد ، حتى لقد فكر كثير من المهتمين بشؤون الحضارة والسلام ، في تأسيس منظمة دولية دائمة تتابع العمل فيما بدأ به ذلك المؤتمر الصغير . وبان عما قليل أن المؤتمر لا يستطيع ، إذا ما أراد الخير الشامل للبشر ، أن يحصر عمله في نطاق التربية وحدها ، وفي دائرة المتفق عليه من تعريفها . فلما أسست المنظمة الدولية ، أضيف إلى التربية أمران آخران : هما العلم والثقافة ، وصرف عليها إسم « منظمة الامم المتحدة للتربية والعلم والثقافة » .

وشهدت مدينة لندن مولد هذه المنظمة العالمية ، حيث اجتمع نفر من العلماء المبرزين ، فوضوا السيف والطريف ما كفين على وضع القواعد الأساسية التي سوف تقوم عليها وتصدر لوائحها وتُنظِّمها ، ومن ثمة انتقلت برجالها وبرامجها الواضحة إلى باريس مقرّها الثابت ،

(١) صرف الانجليز على هذه المنظمة اسماً دولياً هو : Unesco رجاء أن على ذلك الفرنسيون وبقية الامم المشتركة فيها والكلمة مؤلفة من الاحرف الاولى للعبارة الآتية

United Nations Educational, Scientific and Cultural Organization.

وسميناها في العربية « المدرس الدولي »

ولم يجتمع في أثناء شهر أكتوبر سنة ١٩٤٦ مؤتمر أقتنع المنظمة ، فقد الجنين الذي ولد في لندن طفلاً يهيم في طفولته الأولى .

ولا شك عندي في أن هذا الطفل سوف يشب وينمو ويرجل قرعه وتستبان عضلاته عما قريب . ذلك بأن عقائده الحرية والتسمح والسلام ، فقد أقر المؤتمر العام هذه المبادىء السامية عند الولادة ، بعد أن أبداها كثير من رجال الأمم المختلفة الذين شهدوا مولد ذلك المدرس الدولي ، فقام نظامه الأساسي على مبدإ حرية الأديان جميعاً ، وحرية المذاهب جميعاً ، وحرية العقائد جميعاً ، بحيث يتسع المجال للنصراني والمسلم واليهودي ، والماركسي ، والفيبرعي ، والاشتراكي ، والديمقراطي ، ولغير الاشتراكية ، ولغير الحرية الإنسانية أن يعملوا معاً لخير الإنسانية المحض من غير أن يضحي واحد منهم بمبدئه أو يطلب انتسابه إلى هذا المدرس بعقيدة من عقائده .

على أن الأمر لم يقف عند هذا وحده ، بل وضع المؤتمرون تعريفاً جديداً للسلام . فلم يعرفوه بأنه مجرد الامتناع عن العدوان ، بل سلام ينشأ عن عقيدة ينطوي عليها قلب الإنسان وحبه الخير لغيره كما يحبه لنفسه . وقد قبل هذا التعريف باجماع تام ، فكان لقبوله أثر واضح في جميع المناقشات التي دارت في ذلك المؤتمر التاريخي .

والجديد في ذلك الأمر كله . ان المعارف الانسانية وجعلها أساساً للروابط التي تجمع بين الأمم ، أصبحت قوة معترفاً بها في العالم الدولي ، ولم يصبح أمر العالم قاصراً على رجال السياسة والاستراتيجيين من رجال الحرب والدولة . ولا مرية إطلاقاً في أن التعاون العقلي والروحي بين الأمم ، هو أكبر مانع للعدوان وأكبر مقاوم للعداوات التي تسبب تلك الحروب المهلكة المفنية .

ولقد لاحظ القائمون بأمر هذه المنظمة ذلك الأمر ، فرسموا الخطة التي تلزمها الأمم الممثلة فيها على خمس قواعد ، بل أنهم حصروها في خمسة رؤوس :

الأول : التنوير الذهني . فان حاجة العالم الآن تنحصر في القيام بحملة كبيرة للقضاء على الأمية والجهل ، ذلك بأن السلام الحقيقي بمعناه الذي قرره مؤتمر باريس ، لا يمكن أن يقوم على أساس مكين ولصف أمم العالم في ظلام دامس من الخرافات والأساطير والجهالات وبالرغم من أن هذا العمل من اختصاص كل أمة قائمة بذاتها ، غير أن « المدرس الدولي » يستطيع أن يبعث الروح العاملة في سبيله وينفث فيه القوة بأن يجمع الحقائق والمعلومات الصحيحة ويعمل على نشرها بين الشعوب التي تأخذ في سبيل التنوير الذهني والقضاء على مخابث الجهل ، فقررت لجنة التربية رسم الخطة الآتية :

« القيام بحملة كبيرة على المليون بالعمل على نشر التعليم من بدايته الأولية في القراءة والكتابة إلى غايته النهائية في تنوير الذهن وتقوية الحس الروحي عند الأفراد ، وتصحيح العقول والأبدان ، وترييف القيم الروحية » .

الثاني : ايقاظ الناعين ، فان في أمم العالم قاطبة فئات من المتعلمين ، غير أنهم يجعلون عقولهم تتبدل وتتضاءل قواها بالاغفال . وأمثال هؤلاء قوة من أخطر القوى التي تناوئ السلام في العالم . ذلك بأنهم يقعون فريسة أولئك الذين يتهزون فرصة ضعف تفكيرهم ، فيبثون فيهم فكرات منقولة ليست من نتاج قوائم الذاتية . وهذه الظاهرة ولا شك معضلة قومية تهم جميع الأمم . ومن أجل أن يقاوم المدرس الدولي هذه الآفة النكراء ، قرر المؤتمرون أن يكون من أوالي واجباته نشر نظام المكتبات المتنقلة ، وكتب المراجع والمناحف ، على أن يهتم قسم العلم الطبيعي بأن يعهد السبيل بنشر الآداب العلمية بين الناس ، وفي اذاعة الحقائق العلمية بإخراج الأفلام التي تتناول مختلف موضوعات العلم . في حين أن قسماً آخر سمي قسم « بيئات الجماهير » سيعكف على درس برامج الاذاعة ، وخصيات الصحف الرئيسية وأدوارها وميولها ، ومقدار تأثير بعض الأفلام على اتجاه الناس .

الثالث : تهيئة الأداة ، فان كثيراً من الفنانين والعلماء والفلاسفة ، وعلى الجملة كثيراً من رجال الأدب والفضل العاملين الذين تأكل صدورهم الغيرة على خير البشر ، كثيراً ما تقعد بهم الحاجة عن الحصول على الأداة التي بها يتهيأ لهم المضي في عملهم الناجح المفيد أو تصدم الظروف عن الاتصال بغيرهم من العاملين . وقد يكون عجزهم المادي سبباً في عجزهم عن الانتاج والمضي في الابتكار . فقرر المؤتمرون أن يوجه « المدرس الدولي » أقصى همه الى القضاء على الأسباب التي تقف بهؤلاء عن متابعة بحوثهم المبرورة ، بأن يهيء لهم الوسائل المادية اللازمة ، وان يشجع عقد المؤتمرات العلمية والفنية ، وأن يعمل على نشر المناقشة القيمة التي تسهل سبيل ذيوع المعرفة الحقة .

الرابع : تحطيم الموانع ، إن أمة بعينها ، وبمساعدة « المدرس الدولي » ، قد تستطيع أن تعالج مشكلاتها الداخلية التي أشير اليها في الأقسام الثلاثة السابقة . وقد تتفق أكثر من أمة على توليف اتحاد يعمل في سبيل فض مشكل دولي من مشاكل الحياة الانسانية . ولهذا ينبغي أن توجه حملة شعواء على الموانع التي تحد من اتصال بعض الشعوب ببعض ، ومثلها التأثير على جوازات السفر ، وفداحة الرسوم الجركية وقيود النقد ، وعلى الجملة كل القيود والموانع التي أقامتها الأمم علاجاً لحالات طارئة . وسوف يوجه « المدرس الدولي » أوالي جهده إلى هذه الحال . ومن أعظم الأصلحة التي يريد أن يتذرع بها وضع قاعدة يتشر

المؤلفات بان تخرج من اقليمها وترجمتها حقًّا دوليًّا عامًّا.

الخامس: قوة التماجن، ان العمل بمقتضى المبادىء التي شرحت في الاقسام السابقة، ولو أنه عمل فسيح الجهد والمشقة، إلاّ أن «المدرّس الدولي» لم يجده وافيًا بفرضه الأصيل فان «المدرّس» لا ينبغي أن يقصر همهُ على تطهير الحقل الدولي من العقبات والموانع، بل يجب أن يثير الهمة إلى الأخذ بمبدأ التعاون الدوليّ والتقارب بين الأمم والتواصل بين أفرادها وجماعاتها، على اعتبار ان ذلك هو السبيل الأمثل لقيام سلام حقيقي دائم. إما الخطوة الأولى في سبيل هذا الغرض فتجهت نحو المسرح واتخاذه سبيلاً إلى تفهيم بعض الأمم آداب بعض بعرض المسرحيات الثقافية لجميع الأمم من غير تمييز. وقد اتفق على أن يكون هذا المعهد التمثيلي هيأة قائمة إلى جوار هيأة المدرّس وباح الاشتراك فيها لجميع الأمم، سواء أكنّ مشتركات في المدرس أم غير مشتركات فيه، غير أن نجاح الرسالة المنشودة من هذا المعهد إنما تتوقف على النجاح في إزالة العوائق والعقبات التي تقف حائلاً بين اتصال بعض الأمم ببعض. هذه هي الرسالة الثقافية والعلمية التي يرمي إلى تحقيقها «المدرّس الدولي». ولا شك في أنها أسمى رسالات هذا العصر.

يرأس هذا المدرّس عالم انجليزي هو العلاّمة «جوليان هكسلي». ابن العالم الفيلسوف «توماس هنري هكسلي» زميل داروين المعروف، والزائد عن حياض مذهب التطوّر بكل ما أوتي من قوة البيان وقوة العلم.

نشأ «جوليان هكسلي» في بيئة التطور واستسق من أفكارها ونهل من منابعها. فلا عجب إذا نظر في تأسيس هذا المدرّس نظرة من يعتقد إنه مدرج من مدارج الارتقاء الانساني تجري عليه سنن التطور جريانها على كل ما في هذا الوجود. فهو يرى ان مبدأ التطور قد أصبح الآن القوة المحرّكة والغرض الأسمى الذي يحرك أفكار الناس ويوجهم وجهة أسمى من وجهتهم الأولى. ومن الظاهر بصورة قاطعة ان العالم يسير الآن صوب العمل على تأسيس حكومة عالمية. وهذا الغرض النهائي ظاهر الأثر في جميع المؤسسات والمنظمات التي يقوم الانسان بابتكارها في هذا العصر. و«المدرّس الدولي» مظهر من أجل مظاهر التطور في الجمعية الحديثة لأنه يعمل إلى جمع الناس جميعاً في بوتقة واحدة، من طريق تواصل الثقافات وتآلف الاستجابات النفسية والروحية. وفي ذلك جوهر ما يرمي إليه محبو السلام إذ يؤمنون بأن التفاهم بين الأمم وتكافلها من طريق الثقافة والعلم، أعظم مُرَغِّب لها في السلام، وأجدى عامل على إزالة الريبة وسوء الظن بين الأمم.

اسماعيل مظهر